التراث الأرثوذكسي

ISSN 1814-7038

السنة التاسعة عشرة، العدد الرابع، كانون الثاني ٢٠٢٣

مختارات آبائية/ حياة روحية

القديس يوحنا ماكسيموفيتش، كلمتان للتريودي

القديس سارافيم تشيتشاغوف، حول العمل الروحي للذهن البشري

مختارات آبائية/ تربية مسيحية

القديس فيلاريت درودزوف موسكو، التعليم الديني المطوّل – ٩

أسرة التراث الأرثوذكسي، الكهنوت بحسب القديس سمعان المترجم - ٢

حياة روحية

الميتروبوليت فيلاريت فوزنسنسكي، اللاهوت الأخلاقي: مسألة الإرادة الحرّة

الأب أندرياس أغاثوكلايوس، تبكيت الضمير كإغراء شيطاني

الأب ثيودور ستيليانوبولوس، من أجلي ومن أجل الإنجيل

الأب روبير ميكلين، ماذا يعني الصليب لنا اليوم؟

كلمتان للتريودي

القديس يوحنا ماكسيموفيتش

نقلتها إلى العربية أسرة التراث الأرثوذكسي

الابن الشاطر

" فَقَالَ أَصْغَرُهُمَا لأَبِيهِ: يَا أَبِي أَعْطِنِي الْقِسْمَ الَّذِي يُصِيبُنِي مِنَ الْمَالِ. فَقَسَمَ لَهُمَا مَعِيشَتَهُ" (لوقا ١٢:١٥).

إن مَثَل الابن الضال درس مفيد للغاية للشباب. نرى في الابن الضال الشخصية الحقيقية للشباب الطائش: خفيف الذهن، غافل، متعطش للاستقلال؛ باختصار، كل ما يميّز عادةً غالبية الشباب. نشأ الابن الأصغر في منزل والديه. عند بلوغه سن المراهقة، بدأ بالفعل يتخيّل أن الحياة في المنزل مقيِّدة أكثرَ مما ينبغي. بدا له أن العيش تحت حكم أبيه وعين أمه الساهرة مزعج. أراد أن يقلّد رفاقه الذين استسلموا لمتع العالم. فكّر في نفسه "أنا وارث لضيعة. ألن يكون من الأفضل لو حصلت على ميراثي الآن؟ يمكنني إدارة ثروتي بشكل مختلف عن والدي". وهكذا انجرف الشاب الخفيف العقل إلى بريق ملذات العالم الخادع وقرر أن يتخلص من نير الطاعة ويغادر منزل والديه.

أليس كثيرون اليوم واقعون تحت وحي دوافع مماثلة، قد لا يغادرون منزل والديهم لكن ألا يخرجون من منزل أبيهم السماوي، أي من طاعة الكنيسة المقدسة؟

إن نير المسيح صعب ووصاياه مرهقة على العقول غير الناضجة. إنهم يعتقدون بعدم ضرورة الحفاظ على ما يأمرنا به الله وكنيسته المقدسة. بالنسبة لهم، من الممكن خدمة الله والعالم في نفس الوقت. إنهم يقولون "نحن بالفعل أقوياء بما يكفي لتحمّل الأهواء والإغراءات المدمّرة. يمكننا التمسك بالحقيقة والتعليمات السليمة بأنفسنا. اتركونا نحسّن عقولنا من خلال اكتساب أنواع المعرفة المتعددة. دعونا نقوّي إرادتنا وسط الإغراءات والأهواء. بالتجربة ستقتنع حواسنا بوقاحة الرذيلة!" هل هذه الرغبات أفضل من الطلب السيئ الذي طلبه الابن الأصغر من والده: "يا أبي،عْطِنِي الْقِسْمَ الَّذِي يُصِيبُنِي مِنَ الْمَالِ؟"

وهكذا ، فإن الشباب الخفيف العقل لا يلتفت إلى وصايا وتحذيرات الكنيسة المقدسة. بل هو يكفّ عن دراسة كلمة الله وتعاليم الآباء القديسين، ويستمع باهتمام إلى مغالطات أولئك الذين يُدعون كذباً معلمين، وفي هذه المساعي يقتل أفضل ساعات حياته. يقلل من الذهاب إلى الكنيسة أو يقف هناك غافلاً مشتتاً. إنه يفوّت فرصة تكريس نفسه للتقوى والتمرّس في الفضائل، لأنه يقضي الكثير من الوقت في حضور العروض ووسائل الترفيه العامة وما إلى ذلك. باختصار، في كل يوم يسلّم نفسه أكثر وأكثر للعالم وأخيراً يسافر إلى "بلد بعيد".

ما هي نتيجة هذا التغرّب عن الكنيسة المقدسة؟ إنه نفس نتيجة مغادرة الابن الشاطر لبيت والديه. يضيّع الشباب الخفاف العقل بسرعة كبيرة طاقاتهم وما عندهم من مواهب الروح والجسد الممتازة، ويدمرون في الوقت الحاضر والأبدية كل الخير الذي فعلوه. في هذه الأثناء، يحدث " جُوعٌ شَدِيدٌ فِي تِلْكَ الْكُورَةِ": الفراغ وعدم الرضا، النتيجة الحتمية للملذات الشاردة. يظهر التعطش للمتعة، ويشتد مع إرضاء المشاعر الفاسدة،

ويصبح في النهاية نهماً. غالباً ما يحدث أن محب العالم البائس، من أجل إرضاء أهوائه، يلجأ إلى الملاحقات الدنيئة والمخزية، التي لا تعيده إلى صوابه مثل الابن الشاطر ولا تردّه إلى طريق الخلاص، بل يتابع دماره الزمني والأبدي على حد سواء!

في التوبة

افتح لي أبواب التوبة يا واهب الحياة!

التوبة باليونانية metanoia. بالمعنى الحرفي تعني تغيير الفكر. بعبارة أخرى، التوبة هي تغيّر في شخصية الإنسان وطريقة تفكيره؛ تغيير الذات الداخلية. التوبة هي إعادة النظر في وجهات النظر وتغيير الحياة.

كيف يتحقق هذا؟ بنفس الطريقة التي تضيء بها أشعة الشمس الغرفة المظلمة التي يدخل إليها الإنسان. عند النظر في أرجاء الغرفة في الظلام، يمكنه تحديد أشياء معينة، ولكن هناك الكثير مما لا يراه ولا يشكّ حتى أنه هناك. العديدُ من الأشياء يدركها بشكل مختلف تماماً عمّا هي عليه بالفعل. عليه أن يتحرك بحذر، ولا يعرف ما هي العقبات التي قد يواجهها. ومع ذلك، عندما تُضاء الغرفة، يمكنه رؤية الأشياء بوضوح والتحرك بحرية.

الأمر نفسه يحدث في الحياة الروحية. عندما ننغمس في الخطايا، ويصير عقلنا مشغولاً فقط بالاهتمامات الدنيوية، فإننا لا نلاحظ حالة أرواحنا. نكون غير مبالين بما نحن عليه داخلياً، ونواصل السير على طريق خاطئ دون أن ندرك ذلك.

ولكن بعد ذلك يخترق شعاعٌ من نور الله أرواحنا. ويا لها من قذارة نراها في أنفسنا! كم من الكذب، وكم من الباطل! ما مدى شناعة الكثير من أفعالنا التي تخيلنا أنها فائقة الروعة. ويصير واضحاً لنا أيٌ هو الطريق الصحيح.

إذا أدركنا بعد ذلك تفاهتنا الروحية وإثمنا ورغبنا بشدة في تقويمنا نكون قريبين من الخلاص. نصرخ إلى الله من أعماق نفوسنا: "ارحمني اللهم ارحمني حسب عظيم رحمتك!"، "سامحني وخلّصني!" "هبني أن أعرف ذنوبي وعيوبي ولا أدين إخوتي".

مع بداية الصوم الكبير، فلنسارعْ إلى مسامحة بعضنا البعض عن كل الأذى والإساءات. نرجو أن نسمع دائماً كلمات إنجيل الغفران يوم الأحد: "إِنْ غَفَرْتُمْ لِلنَّاسِ زَلاَتِهِمْ، يَغْفِرْ لَكُمْ أَيْضًا أَبُوكُمُ السَّمَاوِيُّ. وَإِنْ لَمْ تَغْفِرُوا لِلنَّاسِ زَلاَتِهِمْ، لاَ يَغْفِرْ لَكُمْ أَبُوكُمْ أَيْضًا زَلاَتِكُمْ" (متى٦: ١٤-١٥).

حول العمل الروحي للذهن البشري

القديس سارافيم تشيتشاغوف*

نقلته إلى العربية أسرة التراث الأرثوذكسي

١. الذكاء الحقيقي هو أن نطيع الله في كل شيء

لا يستغرق الأمر حياةً طويلة أو خبرة كبيرة لإقناع إنسانٍ بأن عليه وضْعَ كل ثقته في الربِّ وليس في نفسه. هذه الحقيقة معروفة بالفعل بشكلٍ اختباري في الطفولة، عند دراسة العلوم، والشبّان الذين يندفعون نحو حياة مستقلة ويرتكبون أخطاءً فادحةً بسبب الثقة المفرطة [بأنفسهم]، سرعانَ ما يقتنعون في الذهن والقلب بالحاجة إلى وضع كل رجائهم في الرَّب. ولكنْ لأجل حياتنا وخلاصنا، لا يكفي ألَّا نثق بأنفسنا، ولا أن نضع رجاءنا في الرّب فقط دون عملٍ روحي. إذا كان علينا، بحسبِ كلامِ المسيح، أن نولَد من الماء والروح لنُصبح مسيحيين (يوحنا ٣:٥)، فبلا شكٍّ علينا أيضاً، كي نبقى مسيحيين مدى حياتنا، أنْ نعيش بحسب الروح، أن نحيا حياةً روحية. والحياة الروحية كنايةٌ عن جهادٍ مستمرٍ للذهن والجسد والروح، وإنكارٍ للعالم في كل شيء، وأتعابٍ روحية غير منقطعة. تماماً كما يضعف جسدنا إذا لم نتحرك ونتمرَّن، كذلك فإن النفس والقلب يخسران القدرة على القتال إذا لم نمرِّن الذهن والإرادة على العمل الروحي.

يسعى العقل البشري جاهداً لمعرفة الحقيقة، ومن الضروري تدريبه لتخليصِه من الغموض والجهل. بالتدريب، يُصبح [الذهن] نيّراً، نقياً، وقادراً على تمييز الخير من الشرِّ والحقِّ من الباطل. وحده الذهن المنير النقي قادر على صدِّ الأهواء وتقوية النفس بالفضائل؛ وحده الذهن الذي يعرف الحقيقة يستطيع محاربة الأهواء والنقائص، لأن العدو يستتر دوماً بالمكر والجهل والأفكار الخاطئة والخير الوهمي.

تسألون: "ولكنْ كيف يمكننا تحقيق معرفة ونقاوة وإنارة الذهن؟". يشير الآباء القديسون إلى طريقتين. الأولى والأهم هي الصلاة. بصلاةٍ دافئةٍ خاشعةٍ إلى الروحِ القدسِ نتلقى النعمة التي تسكب النور الإلهي في قلوبنا، ولكنْ شريطة أن نطلب بحقِ الإله الواحد ومشيئته، ونسلم ذواتنا طوعاً لمشورة آباءٍ روحيين مُختبِرين. الطريقة الثانية هي دراسة كلمة الله، وكتاباتِ الآباء القديسين، وشروحات رؤساء الكهنة القديسين العِظام، أي باقتناء تمييز الأمور والحقيقةِ الإلهيةِ، مُدرِّبين الذهن على أحكام المنطق السليم والروح القدس، وليس كما تحكمُ المشاعرُ البشرية والعالم. عندها نتلقى الفهم الواضح بأن كل ما هو محبوبٌ للعالم الفاسد هو بُطلانٌ وأكاذيب؛ المجد والشرف والثروة ومتعة العالم ليست سوى أباطيل وموتٍ للنفس؛ والافتراءُ وتشويهُ السمعة والتجديف، التي يَضطهدُ بها العالمُ أولئك الذين يحيَون في الله، هي مجدٌ حقيقي. أحزان العالم، بسبب نقص الموارد ونقص الملذّات وتحقير حب الذات، هي فرحٌ لمن يحيون بحسب الروح وليس بحسب الجسد. الشهامة الحقيقية هي مسامحةُ الأعداء والصلاة من أجل المُفتَرين، لأنه بأفعالٍ وشيَمٍ كهذه نُشابه الله.

ليس مَن يحكم العالم هو من يجب أن نَعدَّه قوياً، بل من يبرهن على قوته وسلطته بإنكار العالم وأعماله. ليس من يُظهرون الشجاعة وصلابة الروح هم من يُخضِعون العظماء والأقوياء بالسيطرة عليهم، بل أولئك الذين

يسلمون أنفسهم طوعاً لآخرين بدافع الطاعة لأجل المسيح. إن معرفة الذات المتواضعة لهي أهم وأصعب وأكثر مجداً بكثير من معرفة واسعة بالعلوم. حتى أن أحد الشيوخ القديسين عبَّر عن الأمر هكذا: "إخضاع وإماتة نقائصنا وأهوائنا، مهما تكن ضئيلة، تستحق ثناءً أعظم مما يستحقه الاستحواذُ على قلاعٍ كثيرة وتوجيهُ الجحافل أو حتى صنع العجائب وإقامة الموتى".

يقول القديس أنطونيوس الكبير بأن الناس يُدعَون عادةً أذكياء لأن الكلمةَ [أذكياء] تُستخدم بشكل خاطئ. ليس أولئك الذين درسوا خطابات وكتابات الفلاسفة القدماء هم الأذكياء، بل أولئك الذين نفوسهم ذكية، من يستطيعون تمييز الخير من الشر؛ يهربون من الشر والمؤذي، فيما يفرحون بما هو جيد ونافع للنفس؛ هؤلاء فقط هم مَن بالحقيقة يجب أن يُدعَوا بشراً. الإنسان الذكي بحقٍّ لديه اهتمام واحد: أن يطيع ويُسرَّ الله في كل شيء، مقدِّماً الشكر في الأحزان والويلات، مؤمناً أنها لخَيرنا. الإنسان الذكي هو من يُفرح الله، ويكون أكثر صمتاً، أو إذا تكلم فإنه يتكلم قليلاً فقط، ويقول ما هو ضروري ويُسر الله فحسب. الذهنُ المقيمُ في نفسٍ نقية مُحبةٍ للهِ بالحقيقةِ يرى الله، غيرَ المولود الذي لا يُرى ولا يُوصَف، النقي وحده لأنقياء القلوب.

قال الرَّب: "لِدَيْنُونَةٍ أَتَيْتُ أَنَا إِلَى هذَا الْعَالَمِ، حَتَّى يُبْصِرَ الَّذِينَ لاَ يُبْصِرُونَ وَيَعْمَى الَّذِينَ يُبْصِرُونَ" (يوحنا ٣٩:٩).

لم يستطع الحكماء المتكبرون والفريسيون وأبرارُ العالم [أي الأبرار في نظر العالم حينها]، سماع كلمات المسيح هذه بلا مبالاة. الكبرياء هي بشكلٍ رئيسيٍّ خطيئة ذهنية، كما أن التواضع هو بشكلٍ رئيسيٍّ فضيلة ذهنية. لذلك فإن هذه الفضيلة غالباً ما تُسمى في الأسفار المقدسة باتِّضاع الفكر. ما هو اتضاع الفكر؟ إنه فهم الإنسانِ الصحيحُ للإنسانية (القديس إغناطيوس بريانشنينوف، المجلد ٤) ، وبالتالي فإنَّه فهمُ الإنسانِ الصحيحُ لنفسه. يرى الإنسان المتكبر نفسه ككائن ذاتي الوجود، وليس كخليقة الله؛ تبدو الحياة الأرضية له غير منتهية، والموت والأبدية غير موجودين. بالنسبة له، لا توجود عناية إلهية. يعترف بالعقل البشري كحاكمٍ للعالم. "ليس من الخطأ أن تكون غبياً بالطبيعة" يقول الذهبي الفم، "ولكنْ أن تصبح غبياً عبر إيذاء الذهن هو أمر غير مقبول ويستلزم عقاباً عظيماً".

هكذا هُم الذين، بسبب حكمتهم [العالمية]، يحلمون بأمورٍ كثيرةٍ حول أنفسهم ويسقطون في تعالٍ فائق. إذا كان بدء الحكمة مخافة الرب، فإن بدء الغباوة هو جهل الرب. الأشخاص الذين ينقادون إلى الكبرياء والتعالي، يؤلِّهون عقلهم. لا يوجد ما هو أخطر من هذه الحالة، لأنه يصعبُ ويستحيل تقريباً علاجها. كبرياء الذهن أفدح بكثير من كبرياء الإرادة، وإلَيكم السبب: إن كبرياء الإرادة تخضع لمراقبة الذهن الذي يستطيع أن يُصرَّ على إخضاع الإرادة له، ولكنْ حين يكون الذهن متكبراً ويفاخر بأن أفكاره وأحكامه مُسلَّمٌ بها أفضل من الآخرين، مَن أو ما الذي يمكنه عندها جعل هذا الذهن يستسلم؟ لذلك يكتب الرسول القديس: " لاَ يَخْدَعَنَّ أَحَدٌ نَفْسَهُ. إِنْ كَانَ أَحَدٌ يَظُنُّ أَنَّهُ حَكِيمٌ بَيْنَكُمْ فِي هذَا الدَّهْرِ، فَلْيَصِرْ جَاهِلًا لِكَيْ يَصِيرَ حَكِيمًا!" (١ كورنثوس ١٨:٣).

وبالتالي، فإن العمل الروحي يدمر جهل الذهن الذي هو خطر للغاية على الإنسان، ولكنْ فليخشَ المسيحيون العلَّة المعاكسة – أي الكثيرَ من المعرفة والفضول البطال، لأنه في وسط المعرفة الضرورية، من الممكن أن

نحوز، بجهود عدوِّ الخلاص، معرفةً فاضحة وباطلة ومؤذية، والتي فقط تضعف الذهن. عادة ما يُخفي العدو مرارته تحت ستارِ الحلاوة، ويبتكر خيالاتٍ جميلة وجذابة لكيما يغوي العقول عبر محاكاة الحقيقة.

يحاول الشرير هزيمة أولئك الذين لديهم حياة روحية قوية وشديدة عن طريق الذهن، وذلك ليسود عليهم عبر الذهن والقلب معاً. ولتحقيق هذه الغاية فإنَّه عادةً ما يزرع فيهم أفكاراً متعالية وثاقبة تذهل الإنسان نفسه ومَن حَوله؛ الأشخاص الأذكياء أكثر عرضة للإذعان لهذا الخداع. وإذْ هم منساقون وراء أفكارهم المتكبرة، ينسون أن يسهروا على نقاوة قلوبهم وأن يتضعوا بأذهانهم الذاتية الرضى. لتجنب التعالي، لا يتعلق الناس الروحيون حقاً بشؤون وأحداث العالم بشكلٍ أهوائي. لا يدَعون قلوبهم تتعلق بها، لذا فإنهم يظهرون بمظهر أناسٍ متخلِّفين وضِعاف. كما يقول القديس باسيليوس الكبير: "فليكن سماع الأخبار العالمية مرارة بالنسبة لك، وأما أقوال القديسين فلتكن كالعسل من القرص" آمين.

٢. قوة مؤذية ومُهلكة: حول محاربة المخيلة

تحتفظ الذاكرة والمخيلة بكل شيء حسي قد رآه الإنسان وسمعه وشمّه وتذوّقه ولمسه. لذلك يجب أن يكون للذاكرة والمخيلة كلتيهما أهمية عظيمة في حياتنا، كقوىً تقود قلوبنا في نفس الطرق الجيدة أو الخطيرة التي سلكتها حياتُنا في الماضي. ولكن بما أن نظام الحياة الدنيوية يشوّه حواسنا الخارجية، فإنه ليس من الصعب أن ندرك أيَّ شرٍ عظيمٍ تجلبه على الناس هذه القوى الجبارة، أي الذاكرة والمخيلة، محتفظةً بالكثير من الأمور الخاطئة والمُهلِكةِ في القلب والذهن، فيما تحفظُ القليل جداً مما هو نيِّر وخلاصي. في ضوء ذلك، على الإنسان أن يحارب لأجل الخلاص ضد الذاكرة والمخيلة أكثر مما يحارب ضد أهوائه ونقائصه الواضحة.

إن المخيلة قوة لا عقلانية. تعمل ميكانيكياً، كما يقول الآباء القديسون، بشكل تصويري، مُصطنَع بحسب قوانين دمج الصور. يتوافق هذا النشاط فقط مع نمط حياةٍ دنيويةٍ هي نفسُها مصطنعة ولا حرية فيها. تُشتِّت المخيلة الناس عن الله، موجِّهة انتباههم إلى كل ما هو باطل وخاطئ، مشوِّشة روحهم السلامية ومزاجهم الجيد. إننا نعاني من المخيلة، ليس في الواقع وحسب، بل أيضاً في الأحلام. وبالتالي فإن المخيلة باحتفاظها بكل ما هو حسي وجسداني في أذهاننا وقلوبنا، تعرقل الارتقاء نحو الله في الحياة الروحية، تبعثر أفكارنا، وتلوثها بأفكارٍ دنسة وبذكريات سقطات وملذات الماضي. إن هذا يُغيظ، إنه ينتزع سلامنا ويحرمنا من النعمة. المخيلة هي قوة مؤذية ومهلكة للحياة الروحية.

ومع ذلك، إذا كانت المخيلة في الحياة الدنيوية لا تجلب الأذى وحده، بل الخيرَ أيضاً، وذلك حين توجه الإنسان إلى فكرة بركة الحياة المستقبلية، وحين تساعده على الانتقال إلى العالم السماوي، فلِماذا تكون المخيلة، في الحياة الروحية، مؤذية فقط؟

لأن الله الكلي الوجود والكلي القدرة والكلي الصلاح هو فوق كل مخيلة ويتجاوز كل تخيل. لذلك لا يمكن للمخيلة أن تُتحِد الإنسان بالله. قد ثبُتَ ذلك بسقطة الملاك الذي حلم بأن يكون مساوياً لله وتحوَّلَ إلى الشيطان. ملأ عقله بصور تخيلية وأصبح مُخترِع هذه القوة التي يستخدمها ليدمر البشر. يقول الآباء

القديسون أنه، عبر المخيلة، يدخل الشياطين إلى أنفس البشر ويحولونها إلى مسكنٍ للأفكار الشريرة والمقاوِمة لله.

إن ذهن الإنسان الأول، بحسب ما كتب القديس مكسيموس، كان نقياً وخالياً من الصور، ولم تؤثر فيه الأغراض الحسية، ولكن قاتل الجنس البشري ذاتَه، الشيطان، سقط بسبب أحلامه بالمساواة مع الله، لذا فقد قاد آدم إلى نقطة الحلم بذات الشيء. بعد أن سقط الإنسان في هذه الحالة الحالمة، وُلدت شتى أنواع الأهواء فيه وغرق في الأكاذيب. بحسب تعبير الآباء القديسين، فإن الإنسان قد "ملأ التعليم الأخلاقي بغواياتٍ متنوعة، وعِلمَ الطبيعة (الفيزياء) بالكثيرِ من التعاليم الخاطئة، وعلمَ اللاهوت بعقائدَ وخرافاتٍ فاحشة وغير معقولة. إن القوة العليا للنفس عليها أن تعمل في الإنسان – الذهن – الذي يجب قبل كل شيء أن يتنقى من الهوى والصور التخيلية. وما هو مؤذٍ بصورة خاصة هو أن الناس قد تبنُّوا هذه الكذبة وتمسكوا بها بشدة كما لو أنها حقيقة تعبِّر عن الواقع.

أيها الأحباء، أليس من الواضح أن الأشخاص الروحيين الذين يرغبون بالتحرر من الأهواء والأوهام ومكائد العدو ليسوا وحدهم مَن يجب أن يحاربوا المخيلة بشجاعة، بل جميع الناس؛ الدهريون، وقادة العِلم، والمعلِّمون، ورجال الدولة أيضاً يجب أن يشنوا حرباً داخليةً ضد الذاكرة وضد تخيل كل ما هو حسي، وذلك ليُجرِّدوا الأذهان من الدنس ويدركوا الحقيقة عبر استنارة النور الإلهي! نور المسيح يضيء للجميع! بحسب تعليم الآباء القديسين: "اتعب لتحفظ ذهنك بلا لون، بلا صور، بلا أشكال، ونقياً كما خلقه الله".

هناك طريقة واحدة فقط لتحقيق ذلك: بالإغلاق على الذهن في القلب. علينا إعادة الذهن، الذي يطوف في العالم الخارجي، إلى منزله السابق والطبيعي، وذلك ليُحقق غايته، ويُصلي مع القلب، و ينتبه لأفعال القلب، و يتأمل الله، ويستريح فيه، وبالتالي أن يُعتَق من الأهواء والخطايا والأكاذيب. يتطلب ذلك الإغلاقَ على الذهن في مكانٍ ضيق داخل الإنسان، بحيث لا يُمكن تشتيته وصرف انتباهه. حين تُزمع الأفعى أن تخلع جلدها، فإنها تدخل في مكانٍ ضيق وتنزلق عبره بجدٍ كبير. لذلك فإن الذهن الذي يتوق إلى سبيل الخلاص يشق طريقه عبر القلب، وبمساعدة الصلاة غير المنقطعة يخلع رداء المخيلة ويصبح نقياً، نيّراً، وأهلاً للاتحاد بالله.

تماماً كما أن أشعة الشمس تعمي الأبصار أكثر وتصبح حارقةً أكثر عند تجميعها في نقطة واحدة، كذلك فإن العقل المركز في القلب يصبح نيِّراً ويحرق صور المخيلة. بهذه الطريقة مُنِحَ الكثير من الناس الأمّيين وغير المتعلمين مواهب الروح القدس، لأن المسيح نفسه قال: " أَحْمَدُكَ أَيُّهَا الآبُ، رَبُّ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، لأَنَّكَ أَخْفَيْتَ هذِهِ عَنِ الْحُكَمَاءِ وَالْفُهَمَاءِ وَأَعْلَنْتَهَا لِلأَطْفَالِ" (لوقا ٢١:١٠).

أن نُغلق على الذهن في القلب هو أمر جليٌّ لأن الأهواء والأفكار تقبع، بحسب قول المسيح، في القلب، من حيث تبرز وتحاربنا. يعلِّمنا القديس غريغوريوس اللاهوتي وكثير من الآباء القديسين الآخرين أن أعداءنا يتخذون ملجأً بجوار القلب، فالرب نفسه قال أنه، بعد المعمودية، يخرج الروح النجس من الإنسان ويعود إليه لاحقاً حين يجد قلبه خالياً من النعمة.

وبالتالي، فإن الصلاة غير المنقطعة والتفكير بالله وبملكوت السموات وسُكنى الذهن البشري في القلب تساهم في تنقية القلب والنفس من الأهواء، وفي إنارتهما بالنور الحقيقي، وفي اقتناء معرفة إيجابية؛ وتساعد في العمل، وفي كسب وسيلة للعيش، أو على الأقل في تتميم واجباتنا الكثيرة. إذا كان الذهن يطوف في العالم الخارجي، وينساق وراء الصور والأحاسيس المُتخيَّلة، فإنه عديم النفع للآخرين، ومؤذٍ لنفسه، ومدفونٌ في الحياة.

من لهم آذانٌ للسمع فليسمعوا؛ فليفهموا بأذهانهم وقلوبهم؛ فليعرفوا الحقيقة العظيمة التي يكشفها روح الله لكل من يريد بشكلٍ واعٍ اتباع الطريق التي أشار إليها الله.

" يا رب! عَدْلُكَ عَدْلٌ إِلَى الدَّهْرِ، وَشَرِيعَتُكَ حَقٌّ" (مزمور ١٤٢:١١٨). آمين.

Source: St. Seraphim Chichigov, True Intelligence is to obey God in Everything: On the Spiritual Work of the Human Mind, Orthodoc Christianity, translated to English by Jesse Dominique, 11/12/2022, https://orthochristian.com/149887.htm, 12/12/2022, https://orthochristian.com/149888.html

* القديس الميتروبوليت سيرافيم تشيتشاغوف ، وُلد في ٩ حزيران ١٨٥٦ في سانت بطرسبرغ، لعائلة عسكرية، أعطي اسم ليونيد. تجنّد كضابط مدفعية بعد الانتهاء من دراسته. تأثّر بتجربته في الحرب الروسية التركية ولقاءاته مع القديس يوحنا كرونشتادت، استقال من الجيش وصار كاهناً. بعد وفاة زوجته صار راهباً ومن ثم رئيساً لدير القديس أفثيميوس في سوزدال، ومن ثم رئيساً لدير أورشليم الجديدة في موسكو. انتُخب أسقفاً في ١٩٠٥ وتنقل بين عدة أبرشيات إلى أن انتُخب ميتربوليتاً على بتروغراد في ١٩٢٨. تقاعد عام ١٩٣٣ بسبب تقدمه في السن واعتلال صحته. بعد أربع سنوات تم القبض عليه ووجهت إليه تهمة الدعاية للملكية. حكم عليه بالإعدام رمياً بالرصاص، وأعدِم في ١١ كانون الأول ١٩٣٧. أعلنَت الكنيسة الروسية قداسته في ١٩٩٧ كشهيد جديد.

التعليم الديني المطوّل - ٩

لكنيسة الله الشرقية الأرثوذكسية الجامعة

المعروف أيضاً بتعليم القديس فيلاريت درودزوف موسكو

نقلتها إلى العربية أسرة التراث الأرثوذكسي

هذا التعليم راجعه وأقرّه المجمع المقدس (الروسي) ونشره ليتمّ استعماله للتعليم في المدارس كما ولكل المسيحيين الأرثوذكسيين (موسكو، المطبعة المجمعية، ١٨٣٠)

عن البند العاشر

٢٨٣. لماذا يذكر قانون الإيمان المعمودية؟

لأن الإيمان مختوم بالمعمودية وغيرها من الأسرار والطقوس.

٢٨٤. ما هو سر أو الطقس؟

السر أو الطقس هو عمل مقدس من خلاله تعمل النعمة، أو بعبارة أخرى قوة الله الخلاصية، بشكل سري على الإنسان.

٢٨٥. كم هو عدد الأسرار المقدسة؟

سبعة: ١. المعمودية. ٢. مسحة الميرون. ٣. الإفخارستيا (المناولة). ٤. الاعتراف. ٥. الكهنوت. ٦. الزواج. ٧. مسحة الزيت.

٢٨٦. ما هي كل فضيلة موجودة في كل من هذه الأسرار؟

١. في المعمودية، يولد الإنسان سرياً لحياة روحية.

٢. في مسحة الميرون ينال نعمة النمو والقوة الروحية.

٣. في المناولة يتغذى روحياً.

٤. في الاعتراف يشفى من الأمراض الروحية، أي من الخطيئة.

٥. في الكهنوت ينال نعمة روحية ليجدد الآخرين ويطعمهم ويغذيهم بالعقيدة والأسرار.

٦. في الزواج ينال نعمة تقديس الحياة الزوجية والإنجاب الطبيعي وتربية الأطفال.

٧. في المسحة بالزيت دواء حتى للأمراض الجسدية، حيث أنه شفي من الأمراض الروحية.

٢٨٧. ولكن لماذا لا يذكر قانون الإيمان كل هذه الأسرار فيما يذكر المعمودية فقط؟

لأن المعمودية كانت موضوع سؤال ما إذا كان ينبغي إعادة تعميد بعض الناس لكونهم هراطقة؛ وهذا تطلب قراراً تم وضعه في قانون الإيمان.

حول المعمودية

٢٨٨. ما هي المعمودية؟

المعمودية هي سر، فيه الإنسان الذي يؤمن، بعد أن يُغطّس جسده ثلاث مرات في الماء باسم الله الآب والابن والروح القدس، يموت عن حياة الخطيئة الجسدية، ويولد من جديد من الروح القدس إلى حياة روحية ومقدسة. ما لم يولد الإنسان من الماء ومن الروح لا يستطيع أن يدخل ملكوت السماوات (يوحنا ٣:٥).

٢٨٩. متى وكيف بدأت المعمودية؟

أولاً ، عمّد يوحنا بمعمودية التوبة قائلاً للشعب أن يؤمنوا بالذي سيأتي بعده أي بالمسيح يسوع (أعمال ١٩:٤). بعد ذلك، قدّس يسوع المسيح المعمودية بمثاله، عندما أخذها من يوحنا. أخيراً، بعد قيامته، أعطى الرسل هذه الوصية: اذهبوا وعلموا جميع الأمم، معمدين إياهم باسم الآب والابن والروح القدس (متى ٢٨:١٩).

٢٩٠. ما هو الأكثر أهمية في إقامة المعمودية؟

التغطيس الثلاثي في الماء باسم الآب والابن والروح القدس.

٢٩١. ما المطلوب من طالب المعمودية؟

التوبة والإيمان. كما أيضاً قبل المعموديةأن يتلو دستور الإيمان. " تُوبُوا وَلْيَعْتَمِدْ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ عَلَى اسْمِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ لِغُفْرَانِ الْخَطَايَا، فَتَقْبَلُوا عَطِيَّةَ الرُّوحِ الْقُدُسِ" (أعمال٢:٣٨). "مَن آمن واعتمد فهذا يخلص" (مرقس ١٦:١٦).

٢٩٢. ولكن لماذا إذن يعتمد الأطفال؟

لإيمان والديهم وعرّابيهم، الذين هم ملزمون أيضاً بتعليمهم الإيمان بمجرد بلوغهم سناً كافياً للتعلم.

٢٩٣. كيف يظهر من الكتاب المقدس أنه علينا تعميد الأطفال؟

في زمن العهد القديم، كان الأطفال يُختَنون بعمر ثمانية أيام؛ والمعمودية في العهد الجديد تحل محل الختان. وبالتالي يجب تعميد الأطفال.

٢٩٤. أين يظهر أن المعمودية تحل محل الختان؟

من كلمات الرسول التالية للمؤمنين: وَبِهِ أَيْضًا خُتِنْتُمْ خِتَانًا غَيْرَ مَصْنُوعٍ بِيَدٍ، بِخَلْعِ جِسْمِ خَطَايَا الْبَشَرِيَّةِ، بِخِتَانِ الْمَسِيحِ. مَدْفُونِينَ مَعَهُ فِي الْمَعْمُودِيَّةِ، الَّتِي فِيهَا أُقِمْتُمْ أَيْضًا مَعَهُ بِإِيمَانِ عَمَلِ اللهِ، الَّذِي أَقَامَهُ مِنَ الأَمْوَاتِ." (كولوسي ٢:١١)

٢٩٥. لماذا العرّابان في المعمودية؟

لكي يقفوا ضامنين أمام الكنيسة لإيمان المعمَّد، وبعد المعمودية ليتولوا المسؤولية، لتثبيته في الإيمان. (انظر ديونيسيوس الأريوباغي، التراتبية الكنسية، الرأس ٢).

٢٩٦. لماذا نتلو الاستقسامات قبل التعميد؟

لطرد الشيطان الذي منذ سقوط آدم صار ينفذ إلى الناس ويتسلط عليهم كأسراه وعبيده. يقول الرسول بولس "الَّتِي سَلَكْتُمْ فِيهَا قَبْلًا حَسَبَ دَهْرِ هذَا الْعَالَمِ، حَسَبَ رَئِيسِ سُلْطَانِ الْهَوَاءِ، الرُّوحِ الَّذِي يَعْمَلُ الآنَ فِي أَبْنَاءِ الْمَعْصِيَةِ" (أفسس٢:٢).

٢٩٧. أين تكمن قوة الاستقسامات؟

باسم يسوع المسيح، الذي نستدعيه بالصلاة والإيمان. أعطى يسوع المسيح هذا الوعد للمؤمنين: يخرجون الشياطين باسمي. (مرقس ١٦:١٧)

٢٩٨. ما هي قوة إشارة الصليب التي يُشار إليها في هذه وغيرها من المناسبات؟

كمثل اسم يسوع المسيح المصلوب عندما ينطَق بالإيمان بحركة الشفتين، الشيء نفسه هي أيضاً علامة الصليب عندما تُرسَم بالإيمان بحركة اليد، أو يتم تمثيلها بأي طريقة أخرى. يكتب كيرلس الأورشليمي: لا نخجل من الاعتراف بالمصلوب. لنرسم بجرأة علامة الصليب على الجبهة وعلى كل شيء. على الخبز الذي نأكله. على الكؤوس التي نشرب منها. دعونا نجعلها عند خروجنا ودخولنا؛ عندما نضطجع للنوم وعندما نستيقظ. عندما نسير، وعندما نرتاح: إنها حماية عظيمة، تُمنح للفقراء بلا ثمن، للضعفاء بدون عمل. لان هذه هي نعمة الله. عربون للمؤمنين ورعب للأرواح الشريرة" (العظات. الفصل ١٣. ٣٦.)

٢٩٩. من أين أتى استعمال إشارة الصليب؟

منذ زمن الرسل. (انظر ديونيسيوس الأريوباغي، التراتبية الكنسية، الرأس ٢ و ٥؛ أيضاً ترتليانوس عن التاج الرأس ٣، عن القيامة، الرأس ٨).

٣٠٠. ما معنى الثوب الأبيض بعد المعمودية؟

طهارة النفس ونقاوة الحياة المسيحية.

٣٠١. لماذا يعلَّق صليب للمعمَّد؟

كتعبير مرئي وتذكير مستمر لأمر المسيح: "إِنْ أَرَادَ أَحَدٌ أَنْ يَأْتِيَ وَرَائِي فَلْيُنْكِرْ نَفْسَهُ وَيَحْمِلْ صَلِيبَهُ وَيَتْبَعْنِي" (متى ١٦:٢٤)

٣٠٢. ماذا يعني دوران المعمد حول الجرن مع شمعة مضاءة؟

الفرح الروحي مصحوب بالاستنارة الروحية.

٣٠٣. كيف نفهم أننا في دستور الإيمان نعترف بمعمودية واحدة؟

بمعنى أن المعمودية لا يمكن أن تتكرر.

٣٠٤. لماذا لا تتكرر المعمودية؟

المعمودية هي ولادة روحية: يولد الإنسان مرة واحدة. لذلك يعتمد أيضاً مرة واحدة.

٣٠٥. ماذا نفكّر بالذين يخطؤون بعد المعمودية؟

أنهم مذنبون في خطاياهم أكثر من غير المعتمدين لأنهم تلقوا مساعدة خاصة من الله لعمل الخير، لكنهم رموا بها بعيداً. " لأَنَّهُ إِذَا كَانُوا، بَعْدَمَا هَرَبُوا مِنْ نَجَاسَاتِ الْعَالَمِ، بِمَعْرِفَةِ الرَّبِّ وَالْمُخَلِّصِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ، يَرْتَبِكُونَ أَيْضًا فِيهَا، فَيَنْغَلِبُونَ، فَقَدْ صَارَتْ لَهُمُ الأَوَاخِرُ أَشَرَّ مِنَ الأَوَائِلِ" (٢بطرس ٢:٢٠).

٣٠٦. ولكن أليس هناك طريق ليحصل من أخطؤوا بعد المعمودية على العفو؟

هناك طريق هي التوبة.

الكهنوت بحسب القديس سمعان المترجم - ٢

إعداد أسرة التراث الأرثوذكسي

الشر والشيطان والسقوط البشري

يقول القديس سمعان المترجم إن الشر مرتبط بشكل أساسي بالمتعدّي الذي يبدو أنه يعيش ويزدهر، على الرغم من حرمانه حقاً من الحياة الحقيقية في الله. الشيطان هو مَن تبنّى عن عمد تحوّله الشرير بمعارضته للسيد الذي خلقه. وهكذا، بسبب هذه المعارضة، أصبح سبب الهلاك لنفسه أولاً ثم لنا نحن البشر الذين أقنعهم بخداعه.

ولكن هناك فرق مهم بين الشيطان وبيننا نحن البشر في ما يتعلق بالشر. هو يظل دائماً متمرداً، ويظل شره دائماً ثابتاً وغير قابل للتغيير. نحن، من ناحية أخرى، يمكننا أن نقوم من جديد، لأننا حصلنا على النعمة بعد سقوطنا بسبب صلاح صانعنا الفائق. الشيطان يبقى غير قابل للتغيير، لأنه لم يسقط بالخداع، إذ لكونه غير مادي وخالٍ من الارتباك المادي وكثافة الجسد، فقد سقط طواعية من الخير الذي كان له وصول مباشر إليه. ولهذا لا مكان للتوبة عنده، بل هو يدفع نفسه عمداً إلى الشر ويبقى فيه ويتوسع من خلاله(١).

أما البشر، من جهتهم، فقد سقطوا لأنهم انخدعوا بخداع الشيطان. لذلك نالوا نعمة التوبة، حتى وإن ذاقوا الشر، يمكنهم أن ينظروا إليه بازدراء ويدوسونه. يستطيع البشر، بنعمة التوبة الإلهية، أن يشعروا ويتوقوا مرة أخرى لتلك الخيرات الحقيقية والإلهية، التي حرموا منها، وأن يقوموا ويصبحوا متلقّين لرحمة الله وحنوّه وشركاء في الصلاح الإلهي المبارك.

ولهذا الغرض بالتحديد، تم إعلان تدبير الله في الأنبياء وفي الناموس وفي كل نظام ديني، وأخيراً بشكل كامل في تجسد الله. كل هذه الوسائل أعطيت للإنسان ليفهم سقوطه، ويبتعد عنه وعن الذي أفسده وضلّله، ويعود إلى ما كان عليه في الأصل بل وأبعد إلى حالة أفضل. إن أعظم مظاهر تدبير الله هذه هي محبة المخلص للبشرية، والتي تم الكشف عنها بشكل ملموس في اتحاده بالطبيعة البشرية، كما سبق أن أشرنا. لقد أصبح تجسد السيد المحب للإنسان وصيرورته إنساناً سبباً في رفع الإنسان من سقوطه مرة أخرى. في هذا بالضبط يتوفّر الحل لمشكلة الكهنة غير المستحقين. ما يقترحه سمعان هنا هو أن الكاهن يحتاج أولاً إلى أن يشفي نفسه قبل أن يشفي الآخرين. يحتاج هو نفسه إلى الإصلاح وإعادة التكوين قبل أن يصبح فعالًا في ترميم الآخرين وإنعاشهم.

استعادة البشرية الساقطة

كيف بالضبط حقق التجسد استعادة الإنسان وتجديده؟ من جهة، يشير القديس سمعان إلى قيامة المسيح وصعوده، ومن جهة أخرى إلى الكهنوت المسيحي الذي أوجده المسيح. الأول هو الأساس والأخير هو وسيلة لتطبيق هذا الإنجاز. ما يلي هو شرح القديس سمعان.

بعد قصاص آدم، مُنِحَت إنسانيتنا في المسيح فرصة جديدة للحياة (όρον ζωής) وأصبحت خالدة لكن لم تعد ظاهرة للبشر الفانين. لهذا صار مستحيلاً بعد الموت استنهاض البشر إلى التوبة والتجدد، خاصة الآثمين والخطأة الذين كانوا أصروا عمداً على خطاياهم، على الرغم من أن الكنيسة، التي هي الجسد المؤلَّه الذي لا يفنى ولا يُمس، تحتمل الآلام عِبر الشهداء القديسين الذين هم أعضاء فيها ويتألمون دائماً عنها.

لذلك صعد المسيح إلى السماوات من أجلنا وليس من أجل نفسه، حيث لم يكن أبداً منفصلاً عن حضن أبيه الكلي الوجود. لقد فعل هذا من أجل إنسانيتنا، جسدنا، إذ أحضره إلى الآب كهدية ووضعه على العرش من فوق، أي في السماء، فوق كل رئاسة وسلطان وقوة، كما قال القديس بولس. لقد جعله إلهياً (όμοθέαν)، ممجَّداً، مكرّماً من كل الخليقة، وهيّأه ضحية دائمة عنّا تُقدم إلى الآب دائماً وهي عزاؤنا (παράκλησις)، وكفارتنا (ίλασμός)، وغفراننا (Λυτήριον)، وموهبتنا (δώρον) وجائزتنا (βραβεῖον) وتمتعنا العام (ἀπόλαυσις).

ولكن بما أن المخلص قد أنجز كل هذا وجلس على العرش أعلى عن يمين الآب، وما زلنا نحن البشر على الأرض وبحاجة إلى المخلص، فقد أعطانا من جديد نعمة الخلاص (την χάριν τοϋ σωτηρίου) بدافع الرحمة التي لا توصف، لأننا نلبس نفس الطبيعة البشرية ونخضع لنفس الأهواء؛ وكما هو الحال عندما أراد أن يخلص الإنسان، فقد أصبح إنساناً وليس ملاكاً، لذا فهو الآن يعطي هذه النعمة للإنسان وليس للملائكة، فهو لم يتحد بالملائكة إلا عقلياً فقط (νοερώς)، لكونهم لم يكونوا بحاجة إلى التجدد. من ثم صعد الرب وتمجّد، وأقام الكهنة كمنقذين للعمل باسمه، ليكونوا مشكّلي النفوس، ومرشدين إلى السماء، وأنواراً للحياة، وآباءً، ورعاة وحفظة؛ وقد وهبهم قوته ليكونوا ما ذكرناه أعلاه أولاً لأنفسهم كما للآخرين!

إن هذه الدعوة السامية للكهنة، كما يقول القديس سمعان، وتسامي هذا السرّ، تجعلان من واجب جميع الكهنة إثبات أهليتهم لها. إنها تؤهلهم لتلقّي قوة الله ونعمته ليصبحوا موزعين لها في وجودهم على الأرض! إذاً، ما وُصِف أعلاه هو واجب ملزِم على الكهنة لمصلحتهم الشخصية، كمال لمنفعة الكثيرين، إذ يجب أن يكونوا قدوة جيدة لهم حتى الموت. إن نموذجهم الأصلي هو المسيح نفسه الذي قال أنه "وضع نفسه من أجل الخراف" (يوحنا ١٥:١٠)، أو كما قال بطرس أنه "تألّم لأجلنا" (بطرس الأولى ٢١:٢)، أو كما قال بولس " اَلَّذِي لَمْ يُشْفِقْ عَلَى ابْنِهِ، بَلْ بَذَلَهُ لأَجْلِنَا أَجْمَعِينَ." هذه المواصفات مُتَعَلِّقٌ بالمثال الأَصْلِيّ للمسيح هي الإرث المشترك لجميع الكهنة الذي تنقله إليهم نعمة الله.

اللاهوت الأخلاقي - الفصل الخامس: مسألة الإرادة الحرّة

الميتروبوليت فيلاريت فوزنسنسكي

نقلتها إلى العربية أسرة التراث الأرثوذكسي

المواضيع: تحليل الحتمية (الإيمانُ بِالقَضَاءِ والقَدَر). فهم خاطئ وصحيح للاحتمية. تأثير الدوافع علينا؛ وحرية الاختيار. وعي الذات بالحرية وحقيقة التوبة.

نحن نعلم بالفعل أن الشخص يكون مسؤولاً عن أفعاله فقط عندما يكون حراً عند القيام بها. هل يتمتع بمثل هذه الحرية الروحية، حرية الإرادة المفترضة هنا؟ في الآونة الأخيرة، انتشرت نظرية تسمى الحتمية على نطاق واسع. أتباع هذا التعليم، الحتميون، لا يعترفون بأن للإنسان إرادة حرة. إنهم يؤكدون أنه في كل عمل على حدة، يتم تحفيز الشخص على التصرف فقط من خلال أسباب خارجية. بحسب تعاليمهم، دائماً تتأثر أفعال الشخص بمحفّزات ودوافع لا تعتمد عليه وعادةً ما تكون خاضعة للأقوى بين هذه الدوافع. يقول هؤلاء العلماء: "يبدو لنا فقط أننا نتصرف بحرية، لكن هذا خداع ذاتي". دافع الفيلسوف الشهير سبينوزا في القرن السادس عشر عن هذا الرأي. لتوضيح موقفه تحدث عن حجر قد رُمي. لو كان بإمكانه التفكير والتحدث لكان قال أنه يطير ويسقط في المكان الذي يختاره. في الواقع، لقد طار فقط لأن أحداً ما رماه وسقط بسبب قوة الجاذبية.

سنعود إلى هذا الصورة لاحقاً. الآن، فلنلاحظ ما يلي. إن التعليم المعارض للحتمية هو اللاحتمية. هذا المفهوم تقبله المسيحية. لكن يجب أن نضع في اعتبارنا أن اللاحتميين المتطرفين موجودون، لكن تعليمهم أحادي الجانب وخاطئ.

إنهم يقولون إن حرية الإنسان هي قوته المطلقة للتصرف كما يشاء. بهذه الطريقة، وفقاً لأفكارهم، تُمارَس الحرية الفردية وفقاً لتقدير الشخص التعسفي، ويتصرف تماماً وفقاً لرغباته أو نزواته. بهذه الخدعة الزائفة من "الحرية"، قام الاشتراكيون والشيوعيون بإغراء الشعب الروسي التعيس المضلَّل وقبضوا عليه (يتحدث الرسول بطرس عن هذه "الحرية" في رسالته الأولى ٢:١٥-١٦ والثانية ٢:١٩). بالطبع، هذه حرية ساخنة. هذا هو إساءة للحرية وتحريفها. لا يتمتع الإنسان بحرية مطلقة وغير مشروطة. وحده الله القدير يمتلك هذه الحرية العالية الخلاقة.

على النقيض من هذه اللاحتمية الزائفة، فإن أفكار اللاحتمية الحقيقية مختلفة. فهي تعلّم أن الشخص يتأثر بلا شك بالمحفزات والدوافع الخارجية بشكل كثير التنوع. بهذه الطريقة، على سبيل المثال، يتأثر بالبيئة المحيطة وظروف الحياة والسياسة ومستواه التعليمي وتطوره الثقافي، وما إلى ذلك. كل هذا ينعكس في سمات شخصيته الأخلاقية. يتفق اللاحتميون مع الحتميين على أن الدوافع والتأثيرات الخارجية المختلفة تعمل على الفرد بقوة شديدة في أغلب المرات. ولكن هناك أيضاً اختلاف جذري بين المفهومين. بينما يقول دعاة الحتمية

أن الإنسان يتصرف بطريقة معينة فقط من خلال تأثير أقوى دافع، وليس لديه أي حرية، يؤكد اللاحتميون أنه حر في اختيار أي من هذه الدوافع (نحو الخير أو الشر). قد لا يكون هذا الدافع هو الأقوى، كما أن الشخص قد يفضّل فعلًا يبدو للآخرين أنه غير مؤاتٍ بشكل واضح. مثال على ذلك هو حشد الشهداء الذين بدوا وكأنهم يدمرون أنفسهم بوعي ودون تفكير على يد الجلادين الوثنيين. بهذه الطريقة، من وجهة نظر اللاحتميين، لا تكون الحرية الفردية حرية إبداعية غير مشروطة، بل هي حرية اختيار، حرية إرادتنا لتقرير أن نتصرف بطريقة معينة أم لا.

تقبل المسيحية بالتحديد هذا النوع من مفهوم الحرية البشرية، بما يتوافق مع اللاحتمية. بتطبيق هذا المفهوم على الأخلاق، على مسألة الصراع بين الخير والشر، بين الفضيلة والخطيئة، تقول المسيحية أن الحرية الفردية هي حرية الاختيار بين الخير والشر. في التعريف اللاهوتي الأكاديمي، إن "حرية الإرادة هي قدرتنا المستقلة عن أي شخص وأي شيء ‘نحو حرية تقرير المصير في الخير والشر’".

الآن ، يمكننا تقييمصورة سبينوزا عن الحجر المتساقط. لقد كنا مقتنعين بأن للشخص إرادة حرة بمعنى اختيار التصرف بطريقة محددة. يعتبر سبينوزا أن تحليق الحجر مشابه لسلوك الإنسان. لكن هذا لا يمكن أن يكون ممكناً إلا إذا كان للحجر حرية الاختيار بين الطيران أو عدم الطيرا ، السقوط أو عدم السقوط. لكن من الواضح أن الحجر لا يمتلك مثل هذه الحرية في الاختيار، وبالتالي فإن هذه الصورة غير مقنعة على الإطلاق.

إن إفلاس الحتمية، في رفضها الإرادة الحرة، واضح أيضاً في ما يلي. أولاً، ما من حتمي واحد مصمم على تحقيق تعاليمه في حياته العملية. السبب واضح. إذا نظر المرء إلى الحياة من وجهة نظر حتمية، لن يكون هناك عقاب لأحد، لا طالب كسول بسبب كسله، ولا لص لسرقته، ولا قاتل، وما إلى ذلك، لأنهم لم يتصرفوا بحرية، بل هم فقط عبيد بلا وعي ينفذون إملاءات دوافعهم، متأثرين بها خارجياً. إنه لاستنتاج سخيف، لكنه منطقي تماماً، يمكن استخلاصه من الحتمية. ثانياً، إن إثبات حرية الإرادة هو التجربة الروحية التي تسمّى التوبة، وهي حقيقة معروفة للجميع من خلال تجربتهم الشخصية. علامَ سرتكز هذا الشعور بالتوبة؟ ظاهرياً، يعود التائب في ذهنه إلى لحظة تصرفه الخاطئ ويبكي على خطيئته مدركاً بوضوح أنه كان بإمكانه التصرف بشكل مختلف من غير أن يفعل هذا الشر، بل الخير بدلاً من ذلك. على ما يبدو، لا يمكن أن تكون هذه التوبة ممكنة إن لم يكن للإنسان إرادة حرة، أو إذا كان عبداً للتأثيرات الخارجية محروماً من الإرادة. بهذه السهولة، لن يكون مسؤولاً عن أفعاله.

نحن المسيحيين ندرك أن الفرد حر أخلاقياً، ويحكم إرادته وسلوكه. هذا النوع من الحرية هو أعظم هبة للإنسان من الله الذي لا يطلب طاعة آليةً من الإنسان بل طاعة محبة بنوية حرة. ربنا أكّد بنفسه هذه الحرية "إِنْ أَرَادَ أَحَدٌ أَنْ يَأْتِيَ وَرَائِي فَلْيُنْكِرْ نَفْسَهُ وَيَحْمِلْ صَلِيبَهُ وَيَتْبَعْنِي" (متى ١٦:٢٤) . أُنْظُرْ. قَدْ جَعَلْتُ الْيَوْمَ قُدَّامَكَ الْحَيَاةَ وَالْخَيْرَ، وَالْمَوْتَ وَالشَّرَّ... فَاخْتَرِ الْحَيَاةَ لِكَيْ تَحْيَا أَنْتَ وَنَسْلُكَ"(تثنية ٣٠:١٥-١٩).

Source: Metropolitan Philaret (Vosnesensky). Moral Theology, Chapter 5: The question of free will . Parish Life. Russian Orthodox Cathedral of St. John the Baptist. https://orthochristian.com/144206.html

تبكيت الضمير كإغراء شيطاني

الأب أندرياس أغاثوكلايوس

نقلتها إلى العربية أسرة التراث الأرثوذكسي

إن تعايشَنا مع أشخاص غير كاملين مرتبكين ومضطربين، كما قد نكون نحن أيضاً، يؤدي حتماً إلى نزاع في بعض الأحيان، كما يؤدي إلى سلوكيات مؤذية ومثيرة للانقسام.

في لحظات الهدوء والوعي الذاتي، نتساءل حول ما أذنبنا به وما نصيبنا من المسؤولية. قد نجد أن موقفنا تجاه شخص وقح السلوك، لم تشُبه أي شائبة بل أظهر الصبر والتسامح والمرونة والمحبة. ومع ذلك، لم يتراجع ولم يدرك خطأه.

تحدث الشيخ إميليانوس سيمونوبترا إلى أبنائه الروحيين بطريقة تخترق بعمق وتكشف عن أمراض الإنسان، وقال ما يلي: "عندما يعاملك شخص ما بشكل سيء، لا تعتقد دائماً أن الأمر على علاقة بك؛ فهو شخصياً قد يكون لديه شيء ما" [١]. من الضروري لتوازننا العقلي كما لنضجنا الروحي أن نعرف حدودنا. إن الاستسلام لتبكيت الضمير هو إغراء شيطاني يشلّ كل الجهود لأنه يخلق حالة مدمرة من الندم.

المسيحي الذي يعرف ضعفه ويثق بقوة أبيه السماوي، لا يتخبّط في أي من أخطائه، ولا يخفيها بتبريرها. لا يمكننا دائماً أن نكون سبب السلوك السيئ لدى مَن حولنا. إن حمل أخطائهم وكأنها أخطاءنا لا يساهم بنمونا الروحي.

أن فهمنا لعبارة "لديه شيئ شخصي" على ضوء معاملتنا بشكل سيئ يساعدنا على عدم الردّ باندفاع وغضب. وبالتالي، فإننا نتعامل مع الموقف بسهولة أكبر ونساهم بشكل أكثر فاعلية في استعادة العلاقات الجيدة. بالطبع، التمييز والحكمة والتواضع ضروريون حتى لا نقف بغطرسة وكبرياء أمام ضعف إخوتنا البشر.

لكن كما أن خطر اليأس قائم في قبول عبء الذنب الذي يريد الآخر أن يثقل كاهلنا به، لأسبابه الخاصة، كذلك هناك خطر الغرور بقبول التفاضل والإحساس بالكمال الذي يقول لنا أننا مثاليون وخالون من العيوب وأننا لسنا مسؤولين عن أي شيء.

الكنيسة، مع الآباء والأطباء الروحيين، يحمونا من التطرف، وبالتواضع الحقيقي نُحمى من الشعور بالدونية كما من الشعور بالغرور. من ثمّ إذ نوازن نكتسب سلام القلب والرجاء والمحبة ونصبح، دون أن ندرك ذلك، نقطة تُظهر جمال السماء في عالم غير كامل ومشوش ومضطرب.

[1] Λόγος περί νήψεως, Ι. Κ. Ευαγγελισμού, Ορμύλια, Ίνδικτος, 2007, σ. 266

π. Ανδρέας Αγαθοκλέους: Η υποβολή ενοχών είναι δαιμονικός πειρασμός που παραλύει κάθε προσπάθεια. Newsroom. 22/01/2023. https://www.vimaorthodoxias.gr/theologikos-logos-diafora/p-andreas-agathokleoys-i-ypovoli-enochon-einai-daimonikos-peirasmos-poy-paralyei-kathe-prospatheia/

من أجلي ومن أجل الإنجيل

الأب ثيودور ستيليانوبولوس

نقلتها إلى العربية أسرة التراث الأرثوذكسي

قال السيد المسيح للتلاميذ أنه ليس مَن سيتألم هو وحده، الراعي الصالح، بل هم أيضاً، كأتباعه، سيواجهون الاضطهاد وحتى الموت. لقد كان الأول الذي يتقدم ويقود. هو أول مَن حمل الصليب، وسار في طريق التجربة والبلاء. أما الذين اختاروا أن يتبعوا طريقه وأن يكونوا مخلصين له ويشكّلوا رعيتَه، سيعانون أيضاً. إن تكلفة التلمذة عالية وما ينتج عنها سامٍ أيضاً: خلاص نفوسنا.

إن كلمات الرب تتردد بقوة: " مَنْ أَرَادَ أَنْ يَأْتِيَ وَرَائِي فَلْيُنْكِرْ نَفْسَهُ وَيَحْمِلْ صَلِيبَهُ وَيَتْبَعْنِي. فَإِنَّ مَنْ أَرَادَ أَنْ يُخَلِّصَ نَفْسَهُ يُهْلِكُهَا، وَمَنْ يُهْلِكْ نَفْسَهُ مِنْ أَجْلِي وَمِنْ أَجْلِ الإِنْجِيلِ فَهُوَ يُخَلِّصُهَا. لأَنَّهُ مَاذَا يَنْتَفِعُ الإِنْسَانُ لَوْ رَبِحَ الْعَالَمَ كُلَّهُ وَخَسِرَ نَفْسَهُ؟ أَوْ مَاذَا يُعْطِي الإِنْسَانُ فِدَاءً عَنْ نَفْسِهِ؟ لأَنَّ مَنِ اسْتَحَى بِي وَبِكَلاَمِي فِي هذَا الْجِيلِ الْفَاسِقِ الْخَاطِئِ، فَإِنَّ ابْنَ الإِنْسَانِ يَسْتَحِي بِهِ مَتَى جَاءَ بِمَجْدِ أَبِيهِ مَعَ الْمَلاَئِكَةِ الْقِدِّيسِينَ." (مرقس ٨:٣٤-٣٨).

قال المسيح "من أجلي ومن أجل الإنجيل". لقد وضع نفسه في مركز أكثر الأشياء أهمية في الحياة. فهو إعلان الله النهائي للعالم. لم يأتِ ليكرز بالإنجيل فحسب، بل ليُجسِّد الإنجيل بالأمانة والطاعة والتضحية بالنفس. إن رسالة الإنجيل هي رسالة عن المسيح نفسه وعمّا أنجزه لخلاصنا. إنه ملء حضور الله في التاريخ. إنه تجسيد محبة الله وغفرانه للعالم. إنه الشاهد الأول لحقيقة الله التي تألم من أجلها ومات على الصليب.

قد يتساءل الإنسان لماذا الصليب؟ جاء المسيح إلى العالم ليعلن محبة الله وغفرانه. لماذا إذن كل هذه المقاومة له والكراهية ضده التي أوصلته إلى ألم الصليب وذلّه؟ ولماذا عانى الآلام والاستشهاد هذا العدد الكبير من المسيحيين الأوائل الذين بشّروا بنعمة الله ومحبته للبشرية؟

يوحنا الإنجيلي أعطانا الجواب إذ كتب: " لأَنَّهُ لَمْ يُرْسِلِ اللهُ ابْنَهُ إِلَى الْعَالَمِ لِيَدِينَ الْعَالَمَ، بَلْ لِيَخْلُصَ بِهِ الْعَالَمُ. اَلَّذِي يُؤْمِنُ بِهِ لاَ يُدَانُ، وَالَّذِي لاَ يُؤْمِنُ قَدْ دِينَ، لأَنَّهُ لَمْ يُؤْمِنْ بِاسْمِ ابْنِ اللهِ الْوَحِيدِ. وَهذِهِ هِيَ الدَّيْنُونَةُ: إِنَّ النُّورَ قَدْ جَاءَ إِلَى الْعَالَمِ، وَأَحَبَّ النَّاسُ الظُّلْمَةَ أَكْثَرَ مِنَ النُّورِ، لأَنَّ أَعْمَالَهُمْ كَانَتْ شِرِّيرَةً." (يوحنا ٣:١٧-١٩).

"أَحَبَّ النَّاسُ الظُّلْمَةَ أَكْثَرَ مِنَ النُّورِ". تقييم مأساوي لحالة الإنسان. لقد اتهموا المسيح بأنه كافر ومفسد لطرق الله. وبالمثل، فقد وصفوا المسيحيين الأوائل بأنهم "ملحدين" لعدم ركوعهم لعبادة تماثيل الآلهة الوثنية والإمبراطور الروماني. يمكن للشر أن يستخدم أكثر الأدوات قداسة، حتى الدين، لتنفيذ أغراضه الخبيثة.

اليوم غالبيتنا لا يخافون أن يُضطهدوا أو يتأذّوا جسدياً بسبب اختيارهم اتّباع المسيح والانتماء إلى رعيته. لكن هناك العديد من المسيحيين المؤمنين في أجزاء أخرى من العالم، على سبيل المثال في الشرق الأوسط والهند وباكستان وأفريقيا، يواجهون المعاناة والموت بشكل يومي. يجب أن نحفظهم في صلواتنا. يجب أن نساعدهم. يجب أن نتعلّم من أمانتهم وولائهم للمسيح الراعي الصالح.

نحن نواجه أشكالاً أخرى من التجارب وطرقاً أخرى لحمل الصليب. قد يكون أعظم صليب هو أن نشاهد ونحتمل ما يحدث لأطفالنا. إنهم مغمورون بالصور والرسائل من وسائل التواصل الاجتماعي التي غالباً ما

تحيّرهم وتشوّشهم، وتسبّب لهم أحياناً الأذى. طوال الوقت، نحن كآباء وأجداد نبدو عاجزين عن مساعدة أطفالنا الضعفاء في مواجهة الضغط الهائل الذي يضعه المجتمع الدهري.

بالطبع، الجواب هو العائلة المسيحية. نشكر الله على العائلات المسيحية التي تحارب موجات الكفر والشر في المجتمع. يقال إن الأسماك الحية فقط هي التي يمكنها السباحة عكس مجرى النهر. ترتكز العائلات المسيحية القوية على زيجات مسيحية قوية. في سرّ الزواج، يكون الزوجان المسيحيّان هما سرّ الله الحيّ، ويشتركان في الحب والالتزام المتبادَلين، ويجاهدان لتحقيق مشيئة الله في العائلة والكنيسة والعالم. فليبارك الله عائلاتنا ويقوّيها لتنمو وتزدهر في حياة الإيمان.

الجواب أيضاً هو اختيار الإيمان والحياة اللذين يصنعهما كل واحد منا. قال المسيح "من أجلي ومن أجل الإنجيل". لقد دعانا إلى وضعه في مركز حياتنا. لقد دعانا إلى إنكار أنفسنا واتّباعه. هذا الإنكار ليس مجرد إنكار للأشياء الفردية، كأن أتخلّى، على سبيل المثال، عن أكل هذا الطعام الخاص من أجل المسيح، أو أن أتخلّى عن بعض وقت التلفزيون من أجل المسيح، أو أن أراقب لغتي من أجل المسيح. قد يكون هذا الإنكار مفيداً وصحياً لحياة الإيمان، لكنه ليس نوع الإنكار الذي تحدث عنه المسيح.

إلى هذا، هو ليس إنكاراً لذاتنا العميقة كما خُلقت على صورة الله ومثاله. إنها ليست دعوة لمحاولة محو وعينا الذاتي ونفي ذاتنا الحقيقية. في مثل هذه الحالات، نفقد الهوية ونصبح شيئاً افتراضيّاً، صِفراً في الوعي الذاتي. على العكس من ذلك، الله يحبّ حتى أنفسنا الخاطئة ويدعونا دائماً إلى محبة قريبنا كما نحب أنفسنا ونعتزّ بها ونعتني بها بمعونته.

"من أجلي ولأجل الإنجيل". يدعو المسيح إلى تغيير حاسم في توجيه الذات، وتبدل جذري في النظرة، من القيم والملذات الدنيوية البحتة إلى القيم والصفات الشبيهة بالمسيح. فكّروا واعملوا لإكرام المسيح. فكروا حسب أفكار المسيح لكي تكتسبوا "فكر" المسيح. اعملوا على مثال المسيح لكي تنموا إلى شبه المسيح ونضجه. أحبّوا كما أحب الله حتى نثبت في محبته لأن "الله محبة ومن يثبت في المحبة يثبت في الله والله يثبت فيه". (١ يوحنا ١٦:٤).

ولكن كيف يمكنني التفكير والتحدث والتصرف مثل المسيح عندما يكون المسيح هو الله على الأرض وأنا إنسان ضعيف وهشّ؟ اقتدوا بالمسيح، يعلمنا القديسون، بقدر ما يمكننا القيام بذلك. نقطة البداية هي الإنجيل، قوته، بركاته، فضائله. الإنجيل هو " قُوَّةُ اللهِ لِلْخَلاَصِ لِكُلِّ مَنْ يُـؤْمِنُ.. لأَنْ فِيهِ مُعْلَنٌ بِرُّ اللهِ بِإِيمَانٍ، لإِيمَانٍ" (رومية١٦:١-١٧).

ما هي أكبر مشكلة في مجتمعنا اليوم؟ ماذا وراء كل هذا الغضب والانقسام؟ أليس هو هاجس تأكيد الذات، عنادنا وكبرياؤنا، قلة فهمنا ومسامحتنا لبعضنا البعض؟ أليس هذا هو الصخب المستمر من أجل الحقوق بدلاً من الاهتمام بنفس القدر بمسؤولياتنا كمواطنين؟

الناس (في المقال الأصلي يستعمل الكاتب عبارة "الأمريكيون" لكن الكلام ينطبق فعلاً على كل البشر:المترجم) يتحمّسون للحرية. ومع ذلك، فإن الهوس الواضح بالذات، والعناد والفخر لقهر وسحق الخصوم

بأي ثمن، لا يقود إلى الحرية الفعلية التي تزدهر فيها المجتمعات. بدلاً من ذلك، تقودنا فرديتنا اللاعقلانية إلى أسرٍ أعمق للْذات الخاطئة وأهواء النفس الشريرة والكبرياء والغضب والغيرة والانتقام والبر الذاتي وكراهية الآخر التي تفسد حياتنا المشتركة وتسوّدها. نحن نبرهن صحة تحذير المسيح: نحاول أن "نربح" حياتنا بتأكيد الذات وينتهي بنا المطاف بـ "خسارة" حياتنا في الإحباط والبؤس.

"من أجلي ومن أجل الإنجيل". يدعونا الراعي الصالح إلى ممارسة صفاته المتمثلة في التواضع والتضحية والتسامح وحب الآخرين، والتي يعتقد العالم أننا من خلالها "نخسر" حياتنا. هذا جزء من تكلفة أن يكون الإنسان تلميذاً. اتركوا وراءكم ضوضاء العالم الفوضوية وقوموا بإنجاز جميع المهام، وهي نفس ما نقوم به في المنزل وفي العمل وفي المجتمع، ولكن بأمانة المسيح ومحبته.

«طُوبَى لِلْمَسَاكِينِ بِالرُّوحِ، لأَنَّ لَهُمْ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ.. طُوبَى لِلْوُدَعَاءِ، لأَنَّهُمْ يَرِثُونَ الأَرْضَ. طُوبَى لِلْجِيَاعِ وَالْعِطَاشِ إِلَى الْبِرِّ.. طُوبَى لِلرُّحَمَاءِ... طُوبَى لِلأَنْقِيَاءِ الْقَلْبِ... طُوبَى لِصَانِعِي السَّلاَمِ، لأَنَّهُمْ أَبْنَاءَ اللهِ يُدْعَوْنَ." (متى ٥:٣-٩).

Source: Fr. Theodore Stylianopoulos. For My Sake and the Gospel's. Orthodox Christian Reflections. September 16, 2022. https://skepseis.us/writings/f/for-my-sake-and-the-gospels

ماذا يعني الصليب لنا اليوم؟

الأب روبير ميكلين

نقلتها إلى العربية أسرة التراث الأرثوذكسي

إن صليب المسيح وموته الغالب والواهب الحياة، اللذَين بهما يدمّر الموت، مهمان جداً بالنسبة لنا لنفهم ونستوعب كمسيحيين أرثوذكسيين... فالكنيسة تطلب منا أن نسأل أنفسنا "ما الذي تعنيه قوة الصليب بالنسبة لي شخصياً إذ أعيش في العالم اليوم؟"

للأسف، لقد فقد الصليب معناه، الشخصي والجماعي،لدى كثيرين في الثقافة الدهرية اليوم، والغارقة في أولويات الحياة اليومية، حيث تحتل الكنيسة المرتبة الخلفية بين العديد من الأولويات الزمنية الأخرى. إن المصطلحات التي يفكّر بها العالم الدهري هي مثل: كل ما أختبره هنا والآن، كل ما أراه وألمسه ، هو مدى وجودي وما هو معروف، لذلك "فَلْنَأْكُلْ وَنَشْرَبْ لأَنَّنَا غَدًا نَمُوتُ!" (١ كورنثوس ٣٢:١٥). جزئياً، هذا هو سبب حثّ العالم على التركيز على الذات والأنا، "أنا أولاً"، عندما يصرّ علينا على عدم حرمان أنفسنا من أي شيء؛ باختصار، تقودنا ثقافتنا إلى الخمول الروحي والموت الروحي وتشجعهما. لهذا السبب، إن الحفاظ على الصيام والأعياد ... التي حددها المسيح من خلال كنيسته، أمر حيوي بالنسبة لنا وليس مجرد خِدَم "إضافية" يمكن تفويتها إذا كان المرء مشغولاً.

إن عالماً لا يؤمن بالله ووحيه، وينكر التجسّد والأحداث التاريخية لحياة المسيح وقوته العجائبية الخلاصية، هو عالم لا تظهر فيه العواقب الحقيقية للشر أو الظلام والعنف. إنه عالم تنسى فيه طريقة الشفاء من الأهواء، ونحن ننتقل كأفراد من سيئ إلى أسوأ. إنه عالم تزداد فيه صعوبة أن تكون مسيحياً حقيقياً، إنساناً يحب الله "من كل قلبه، من كل نفسه، من كل فكره" (متى ٣٧:٢٢)، ما نحن مدعوون إليه جميعاً؛ إنه ليس العالم كما يريده الله ولهذا السبب يعطينا المسيح الصليب.

الصليب هو ردنا على العالم الساقط ويأسه، على الذين ينكرون الله ودعوته المُحِبّة لحياتهم، وعلى كل مَن يتعثّر في إيمانه. الصليب هو دائماً تذكير بالواقع المطلق وأهمية ملكوت الله بالنسبة لنا، وتذكير بإخلاء المسيح لذاته (kenosis في اليونانية) وتقدمته الطوعية لنفسه لهزيمة الخطيئة والموت نيابة عنا وخلق إمكانية وجود نسل جديد لآدم ينتصر بالمسيح ومثله على الخطيئة والموت. في "موتنا عن الذات"، نحن الذين نحمل صليبنا معطين الأولوية للمسيح والإنجيل، نستعيد إنسانيتنا الحقيقية، وغايتنا ودعوتنا في هذه الحياة التي وهبنا إياها الله.

ولكن هذه هي الحقيقة: لا يمكننا أن نتبع المسيح ونصبح مشاركين في غلبته إذا لم نكن على استعداد أيضاً لإخلاء ذواتنا من كل ما لا يتماشى مع المسيح وإنجيله. كما يقول المسيح، لا يمكننا أن نخدم الله والمال (متى ٢٤:٦). بدلاً من ذلك، نحن مدعوون لأن نكون "في العالم ، ولكن ليس من العالم". هذه الدعوة ليست شيئاً يمكننا أن نقرر التخلي عنه كمسيحيين "معاصرين". بالمقابل، نحن نغصب أنفسنا يومياً لنعيش من أجل

المسيح، ونخضع أنفسنا لمشيئته ونعكس ملكوت الله في كل ما نحن عليه وكل ما نفعله. بعبارة أخرى، نحن ننكر أنفسنا ونحمل صليبنا ونتبع المسيح. بهذه الطريقة نحن نتقدّس.

يقول القديس بولس أن في المعمودية "لبسنا المسيح" (غلاطية ٢٧:٣). حسناً، إذا كنا قد "لبسنا المسيح" حقاً، فنحن إذن للمسيح وعلينا أن نكون متعلقين بعمل المسيح فيما نزداد أكثر وأكثر شبهاً به واتحاداً معه. كل واحد منا، إلى حد ما، من خلال أفعالنا أو تقاعسنا في هذا الخصوص، يقرر أنه مع الله أو ضد الله.

يذكرنا القديس بولس أن رسالة الصليب هي عند الهالكين جهالة و اما عندنا نحن المخلصين فهي قوة الله (١ كورنثوس ١٨:١). بالنسبة للعالم، إنكار الذات، حتى المحبة الحقيقية نفسها، غريبان، لأن العالم الدهري الإنساني يسعى إلى فهم "الحب" بعيداً عن الله، صانع المحبة. هذا هو السبب في أن الآروس (العشق) والكبرياء غالباً ما يتم الخلط بينهما وبين الحب وينتج عنهما الانحراف والارتباك الجنسي عندما لا يتوافقان مع إرادة الله المعلَنة. المسيح هو الذي يعلّمنا ما هي المحبة وكيف نحبّ: "نَحْنُ نُحِبُّهُ لأَنَّهُ هُوَ أَحَبَّنَا أَوَّلاً"، يعلن القديس يوحنا في رسالته الأولى (١يوحنا ١٩:٤). هذه المحبة توجهنا إلى الصليب، إلى علامة محبة الله وذروتها، التي تظهر في التجسد، في آلام المسيح الخلاصية، وفي دعوته لنا للاشتراك في تلك الحياة الجديدة التي صنعها لنا نحن الذين "لبسوه".

المحبة إذن هي ذبيحة ومقدسة. تصبح المحبة الحقيقية مانحة للحياة إذ توحّدنا أكثر مع الله ومع بعضنا البعض عندما نتعلم أن ننكر ذواتنا ونحمل صليبنا ونتبع المسيح، ليس فقط خارجياً في أعمالنا، ولكن داخلياً إذ نتحوّل وننمو في الوحدة مع المسيح ونصير مشاركين في الطبيعة الإلهية (٢بطرس ٤:١). المحبة الحقيقية تعني أن نطلب للآخرين ما يريده الله لهم. إنها بعيدة كل البعد عن "تأشيرات الفضيلة" وتأكيد الخيارات وأنماط الحياة الخاطئة في حضارة اليوم. لكن عندما يقف المسيح في مركز حياتنا وأولوياتنا يكون أيضاً مركز محبتنا إذ هناك يقف الصليب دائماً، وهو الذي يحدد المحبة!

بعبارة أخرى، كما يقول الراهب الروماني الأب أرساني بوكا: "مَن يرسم إشارة الصليب، عليه أن يكون أيضاً مستعداً لحمل صليبه". عندما نحمل صليبنا، نعلن انتصار المسيح داخلياً وخارجياً، ونحرس قلوبنا وأذهاننا في المسيح يسوع من الشياطين ورذائلهم، كما نعطي شهادة لمَن حولنا عن حقيقة أن انتصاره هو لكل البشر، المحبوبين من الله والمدعوين إلى القداسة والحياة الجديدة في الشركة معه. إذا أحببنا، فإننا نكون أيضاً على استعداد للثبات في إعلان أنّ ما أعلنه الله على أنه خطيئة هو خطيئة، فيما نشير إلى طريق التوبة والشفاء بشهادتنا الذاتية للحق.

لذلك، لكي نحقق النصر مع المسيح على هذا العالم وكل ما هو عابر، نموت نحن أيضاً عن الأنا والعالم وعن المطالب الدهرية والاحتفاظ بالصليب وحقيقة المسيح مخفيين لأنفسنا. يدعونا المسيح أن نخرج من أنفسنا، ونعطي أنفسنا، لنصبح شهوداً شجعاناً للحياة في المسيح لهذا العالم الهالك. لماذا؟ لأن محبة الله تفرض علينا، لأننا نحب المسيح، نرغب في الشفاء والخلاص ليس فقط لأنفسنا ولكن أيضاً للذين يُدخِلهم الله في حياتنا.

هذا صليب أيضاً وإنكار للذات في عالم يُقال لنا فيه أن نحتفظ بإيماننا لأنفسنا، ونركّز فقط على أنفسنا، لأن حقيقة المسيح هي بمثابة إهانة لمطالب الإنسانية الدهرية اللادينية ومذهب المتعة.

إن الذين أنكروا أنفسهم وحملوا صليبهم لاتباع المسيح يكتسبون النصر بوصفهم ورثة لملكوت المسيح. هذا هو وعد ربنا العظيم بالمحبة لنا في الإنجيل حيث يعلن: " مَنْ أَرَادَ أَنْ يُخَلِّصَ نَفْسَهُ يُهْلِكُهَا، وَمَنْ يُهْلِكُ نَفْسَهُ مِنْ أَجْلِي فَهذَا يُخَلِّصُهَا".

نحن نعلن هذه المحبة وهذا الرجاء لعالم لم يعد يعرف ما هي المحبة أو كيف يحب، أو كيف ولماذا يحرم الناس أنفسهم من أي رضا. نحن نعطي من أنفسنا لبناء الكنيسة وخدمتها. نقدم أنفسنا لنشهد للحق قولاً وفعلاً. في حملنا صليبنا كل يوم، نحن نعلن حقيقة حياة المسيح وانتصاره على الخطيئة والموت. نحن الذين نجاهد ضد خطايانا ونثابر في هذا الجهاد، ونعود إلى المسيح حاملين ثمار التوبة، نشهد لانتصار الصليب. نعلن الحقيقة بصوت عالٍ ودون إنكار لعالم ميؤوس منه. والحقيقة هي أن المسيح هو تلك الحياة؛ فيه رجاؤنا الأكيد وشفاؤنا. يلخص الأب ديمترو ستنيلوي هذه الحقيقة فيكتب: "الصليب هو قوة المسيح التي عندما نأخذها يمكن أن تحوّل العالم إلى ملكوت."

لذا، تفحّصْ حياتك اليوم. أتنكر نفسك حقاً وتحمل صليبك لتتبع المسيح؟ جدد شراكتك مع الذي هو الحياة قبل كل شيء. احمل صليبك واتبع المسيح واعلم أنه سيكون معك في كل خطوة على الطريق. صليبه سوف يحميك ويرشدك. فاتقوا الله وسوف لن تخشَوا إنساناً. وبعد ذلك ، يمكننا أن نؤكد بحقٍّ مع القديس بولس: " مَعَ الْمَسِيحِ صُلِبْتُ، فَأَحْيَا لاَ أَنَا، بَلِ الْمَسِيحُ يَحْيَا فِيَّ. فَمَا أَحْيَاهُ الآنَ فِي الْجَسَدِ، فَإِنَّمَا أَحْيَاهُ فِي الإِيمَانِ، إِيمَانِ ابْنِ اللهِ، الَّذِي أَحَبَّنِي وَأَسْلَمَ نَفْسَهُ لأَجْلِي"(غلاطية ٢٠:٢). افعل ذلك وسيتحول العالم من حولك إلى فردوس!

Source: What Does the Cross Mean for us Today? Homilies. https://www.orthodoxannapolis.org/what-does-the-cross-mean-for-us-today%ef%bf%bc/